محمد فارح: الصحفي الثائر في وجه التلوث اللغوي

أ. رضوان شيهان

جامعة الجيلالي بونعامة

خميس مليانة(الجزائر)

مقدمة:

لَقَدْ عَرَفَتِ السَّاحَةُ الصُّحُفِيَّةُ فِي الْجَزَائِرِ بَعْدَ الاِسْتِقْلاَلِ أَعْلاَمًا صُحُفِيينَ كُثُرًا، أَسْهَمُوا عَبْرَ نَشَاطِهِمُ الصُّحُفِيِّ فِي خِدْمَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ والرُّقِيِّ بِهَا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ أُولَئِكَ الْأُسْتَاذُ الْعَلاَّمَةُ **مُحَمَّدُ فَارِح** (رَحِمَهُ اللهُ) الَّذِي خَدَمَ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ عَلَى عِدَّةِ أَصْعِدَةٍ، ابْتِدَاءً مِنَ التَّدْرِيسِ إِلَى الصَّحَافَةِ الْمَكْتُوبَةِ فَالمَجَالِ الْإِذَاعِيِّ، وكَانَتِ الصَّفْحَةُ الْمَشْكُولَةُ فِي جَرِيدَةِ الشَّعْبِ، والْحِصَّةُ الْإِذَاعِيَّةُ(لُغَتُنَا الْجَمِيلَةُ) اللَّتَيْنِ أَشْرَفَ عَلَى إِعْدَادِهِمَا عَمَلَانِ مُتَمَيِّزان تَفَرَّدَ بِهِمَا فِي سَاحَةِ الْعَمَلِ الصُّحُفِيِّ الْمَكْتُوبِ، والْإِذَاعِيِّ الْمَسْمُوعِ، حَيثُ قَدَّمَ مِنْ خِلاَلِهِمَا رُؤْيَةً خَاصَّةً حَوْلَ تَقْوِيمِ الْأَلْسِنَةِ ومُحَارَبَةِ اللَّحْنِ والتَّلَوُّثِ اللُّغَوِيِّ.

فِي هَذِهِ الْوُرَيْقَاتِ سَنُحَاوِلُ اسْتِعْرَاضَ أَهَمَّ خَصَائِصِ مَنْهَجِ الرَّاحِلِ مِنْ خِلاَلِ هَذِينِ العَمَلَيْنِ، واسْتِخْلاَصِ تَقْيِيمٍ أَوَّلِيٍّ حَوْلَ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الصحفية الْمُتَفَرِّدَةِ.

ا/ ترجمة الأستاذ محمد فارح(رحمه الله)[1]:

ا-1/ مولده ونشأته العلمية: ولد الشيخ **محمد فارح** يوم 05 ماي 1930، بمنطقة **زرزور؛** بمدينة الميلية؛ بولاية جيجل، في أسرة متواضعة، محبة للعلم، تلقى تعليمه الأولي في جامع القرية؛ فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم على يدي شيخه**(أحمد بن المشربط)**، ثم اضطرته الظروف إلى ترك الدراسة، والاشتغال برعي الغنم. وفي سن السادسة عشرة التحق بزاوية أولاد سيدي الشيخ، حيث أتم حفظ القرآن الكريم، وفي سنة 1950 التحق بمعهد ابن باديس، وتتلمذ على أيدي شيوخ من أعلام الجزائر؛ منهم: **عبد الرحمن شيبان، وابراهيم مزهودي، والعدوي، وعبد القادر الياجوري، ومحمد الصالح بن عتيق، وعمار بوصبيع، والطاهر حراث،** وغيرهم.

وفي عام 1954 تحصل على شهادة الأهلية، بملاحظة امتياز، ثم التحق بجامع الزيتونة في أواخر عام 1955، حيث نال منها شهادة التحصيل عام 1975، و لم تسعفه ظروف الثورة على إتمام الدراسة في مرحلة العالمية.

في عام 1959 ابتعث من طرف الثورة، لاستكمال الدراسة بجامعة بغداد، حيث التحق بكلية الآداب؛ فدرس على أيدي كبار الأساتذة؛ أمثال: **طاهر جواد، ومصطفى جواد؛** صاحب مؤلف(**قل ولا تقل**)، وقد كللت دراسته بشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها عام 1962.

ا-2/ نشاطه النضالي والجهادي: شارك الأستاذ **محمد فارح** في هجومات 20 أوت 1955، حيث كان منتميا إلى خلية ثورية بمنطقة الميلية، فأسهم - إلى جانب رفاقه - في إحراق حقول المستدمرين، كما انتظم - في أثناء دراسته بالزيتونة- في صفوف جمعية الطلبة الجزائريين، وقد كان من بين رفاقه المجاهدان الراحلان: **عيسى مسعودي**(صوت الثورة) و**عبد الحميد مهري**، كما عمل أمينا عاما لاتحاد الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي.

ا-3/ نشاطه غداة الاستقلال: بعد استرجاع السيادة الوطنية، عمل الشيخ مدرسا بثانوية مليكة قايد بسطيف، سنة دراسية واحدة، ثم انتقل بعدها إلى ثانوية المقراني، بين عكنون(الجزائر العاصمة)، كأستاذ للغة العربية، مدة أربعة عشر سنة، وفي عام 1976 انتقل للتدريس بالمدرسة العليا لتكوين الأساتذة؛ التي كان يديرها الراحل: **عبد الحميد مهري.**

وقد أسهم الراحل في الصياغة اللغوية للميثاق الوطني، وعلى إثرها عين مستشارا تقنيا بالأمانة العامة للحكومة، ثم مستشارا لدى الرئاسة، إلى غاية 1995، كما أسهم في المراجعة اللغوية للنصوص والقوانين والخطابات الرئاسية، للرئيسين الراحلين:**هواري بومدين، والشاذلي بن جديد.**

و لم يهدأ النشاط العلمي والاستشاري للشيخ الراحل، فقد درس بالمعهد العالي لأصول الدين، وأسهم في نشاطات المجلس الإسلامي الأعلى، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان من بين أوائل الذين استجابوا لتأسيس الجمعية الوطنية للغة العربية سنة 1989.

ا-4/ نشاطه الصحفي:

ا-4-1/ في الصحافة المكتوبة: كان التحاق الشيخ بالعمل الصحفي المكتوب، مع الأيام الأولى للاستقلال؛ حيث عمل مدة أربع وثلاثين عاما في جريدة الشعب، التي التحق بها مراسلا صحفيا، حين كان مدرسا بولاية سطيف، فأشرف على الصفحة المشكولة، وعمود (لغتنا الجميلة)، وبقيمسئولا عن الصفحة الإسلامية فيها لسنوات طويلة، حيث أثراها بالمعلومات الثقافية والدينية، العلمية والتشريعية، كفتاوى الشيخ **أحمد حماني** (رحمه الله)،كما عمل منتجا متطوعا في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، في عام 1963، و رأس تحرير مجلة (العصر)، في بدايات صدورها.

وقد أسهم الراحل بالعديد من المواضيع الصحفية، عن اللغة العربية، وآدابها، وقواعدها،فدافع دفاعا مستميتا عنها، وكان حريصا على أن تكون لغة الإعلام لغة بسيطة، وسليمة؛ ولذلك كان من دعاة توفير المدققين اللغويين، وليس مصححي الأخطاء، على مستوى المؤسسات الصحفية، وكان من بين إسهاماته في هذا الشأن؛ تأليف شبه دليل؛ليستعان به في الكتابة الصحفية.

ا-4-2/ الصحافة المسموعة(الإذاعة): إذا ذكر إسهام الشيخ في العمل الإذاعي، ذكر البرنامج الأثيري الشهير:(لغتنا الجميلة)؛ الذي كان يبث ثلاث مرات في اليوم، وثلاث مرات في الأسبوع، وقد حصل هذا البرنامج على الجائزة الأولى، في المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون بالقاهرة، وبعد 12 سنة من البث، تقرر إيقافه.

ب/ خصائص منهج الأستاذ محمد فارح، في محاربة التلوث اللغوي:

ب-1/ منهج ضبط الكتابة العربية:

ب-1-1/ رؤية قديمة، في قالب حديث:

لم يكن منهج الشيخ الراحل في الصفحة المشكولة؛ التي رعاها مدة طويلة بجريدة **الشعب**، محض اجتهاد عَفَوي؛ بل كان وليد منهج فكري؛ أثار الكثير من الجدل بين المهتمين بالعربية، في العصر الحديث؛ كالأديب الكبير: **محمود تيمور**[2].

إن العمل الصحفي، مرتبط أشد الارتباط بالمجتمع، ولذا فإنه يتحتم على الصحفي أن يستعمل لغة خطاب يفهمها المجتمع، ولما كانت العربية قد استرجعت سيادتها في الاستعمال؛ مع استرجاع السيادة الوطنية، وكانت الأمية قد بلغت مبلغها من الجزائريين؛ فإنه بات على جريدة **الشعب** أن تصل إلى كل بيت جزائري، وبلغته العربية، وهنا كان التحدي بالنسبة إلى الأستاذ: **محمد فارح**؛ فاللغة العربية وإن كانت لغة أصيلة عند الجزائري، إلا أن الفصحى ضعيفة الاستعمال عنده، إلا بين المتعلمين والمثقفين؛ وهم فئة قليلة غداة الاستقلال، ولذلك بات من الضروري إيجاد وسيلة لتعميم استعمال الفصحى، فكان اللجوء إلى فكرة الضبط(أو التشكيل) في العمل الصحفي المكتوب، أمرا لابد منه؛ لزيادة الاستيعاب عند القراء.

إن اعتماد الكتابة المضبوطة(المشكولة) في الخطاب الموجه إلى عامة الناس، هدفه -حسب **محمود تيمور**- تدريب ألسن العامة على الفصحى شيئا فشيئا؛ حتى تتعود عليها؛ وتحتل حينذاك الفصحى الألسنة، كما في سابق عهدها، وهذا ما سعى إلى تحقيقه- أو على الأقل تجريبه- الأستاذ **محمد فارح**.

وقد أبرز **محمود تيمور** الفائدة من اعتماد الشكل وتعميمه، فقال:"... فإننا إذا تمثل لنا أن قارئنا العربي سيقرأ دائما كتابة مضبوطة؛ نحوا وصرفا في كل ما تقع عليه عينه؛ من كتاب، أو صحيفة، أو مجلة، أو نشرة، من أي نوع كانت؛ ارتقبنا أن تصل به الحال إلى أن يصبح النطق بالصواب سليقة له، و مرانة. ولا يبعد علينا - بعد فترة من الزمن- أن نلمح بوارق العهد الذي كان العرب فيه يحسنون النطق الصحيح، على غير علم بالقواعد، أو تعلم لها، وما أعظم هذا كسبا!"[3].

لقد عمل الأستاذ على أن يكشف لعامة القراء؛ عن اللباس الشفاف الذي تتلبس به الأحرف العربية؛ وهو لباس الحركات والسكون؛ حتى يسهل عليهم تدريب ألسنتهم على أثرها، ويعرفوا تقلبات حركاتها الإعرابية، في أنواع الكلام، وهذه أقرب السبل - في رأي أصحاب هذا المنهج- لإعادة الفصحى إلى ما كانت عليه.

و قد رأى الأستاذ **تيمور** أن فكرة الضبط يجب أن يبدأ تعميمها "في جميع الكتب التي تتدارسها دور التعليم؛ في المكاتب الصغيرة؛ إلى المعاهد العالية، لا فرق في ذلك بين كتاب جغرافي، أو رياضي، أو نحوي. وحين يبدأ التلميذ حياته العلمية على هذا النحو، ويمضي في أثناء تنقله في درجات التعليم، لا يشب إلا قارئا مطبوعا على الصحة و الصواب"[4]، ولذلك رأى الأستاذ **فارح** أن الجريدة(أو الصحيفة) هي الوسيلة الوحيدة، التي يمكن من خلالها تعميم هذه الفكرة، على كل شرائح المجتمع، وعلى كل مستويات التعليم، فيمكن مثلا للتلاميذ في المدارس الابتدائية قراءة الصفحة المشكولة في جريدة الشعب دون عناء.

وتعميم فكرة الضبط تنشئ - حسب **تيمور**- جيلا عربيا في منطقه، بأية علامات، ممتلكا لملكة الإفصاح، لا يعجزه الرجوع إلى المؤلفات المكتوبة بالحروف العربية القديمة[5].

إن هذه الدعوة في نظر **جابر قميحة** هي من قبيل تحصيل الحاصل، وهي بهذا الإطلاق تغفل الفوارق بين مراحل التعليم المختلفة، واختلاف قدرات الاستيعاب عند الطلاب، من مرحلة إلى أخرى، وقد يكون التدرج في الضبط هو الحل المعقول. كما أن تعميم الضبط في ظل إغفال مستوى القراء؛ سيعطل بل سيوقف قدرة الفهم بلا ضبط[6].

وقد أدرك الأستاذ **فارح**- كما أدرك **تيمور** قبله- أن تعميم الضبط في كل ما يكتب، عملية مكلفة الجهد، "على أن لكل تغيير طارئ مصاعبه الأولى، ولكل إصلاح عثراته في فواتح الطريق، حتى يستقر الأمر، وتستتب الحال"[7].

ب-1-2/ علاقة نظام الضبط بزيادة قدرة الاستيعاب القرائية:

لا يمكننا الحكم على تجربة الصفحة المشكولة عند الأستاذ **فارح**، ومعرفة مدى تأثيرها على الملكة اللغوية للقارئ؛ إلا بإجراء استقصاء شامل على قرائها في تلك المرحلة.

وهنا يمكننا الادعاء أن الأستاذ -حين وضع صفحته المشكولة- قد هدف إلى أمرين: أحدهما: تدريب العامة- وهم نسبة كبيرة من شبه الأميين والفرانكوفونيين- على اللسان الفصيح، والآخر: هو إزالة اللبس بين الكلمات المتجانسة الحروف؛ التي يصعب على المثقفين التمييز بينها[8]، "بل إن المختصين في اللغة، الواقفين حياتهم على دراستها، لا يستطيعون ذلك؛ إلا

باطراد اليقظة؛ ومتابعة الملاحظة، وإن أحدا منهم إذا حرص على ألا يخطئ، لا يتسنى له ذلك، إلا بمزيد من التأني، وإرهاف الذاكرة، وإجهاد الأعصاب"[9]. وهناك من الكتاب والشعراء من " يكتبون وينظمون وينشرون كلما غير مشكول- واللحن في غير المشكول لا يظهر- فإذا قرؤوا كتابة أنفسهم، ونظمهم، بان عوارهم، وانكشف لحنهم في أقبح الصور"[10].

وقد أجريت بحوث عديدة، للوصول إلى تحديد المراحل التعليمية التي يجب تخليص الكلمة فيها من الضبط، لإزالة اللبس الذي يحصل بينها وبين أخواتها، ومدى تعلق درجة الاستيعاب عند القراء بوجود نظام الضبط، ومن تلك البحوث؛ بحث الأستاذ **زكريا أبو حمدية؛** الذي انطلق فيه من فكرتين؛ أولا: ما يتعلق "بشكل الكلمة المكتوبة، الذي يكون مصدر لبس في استيعاب المادة المكتوبة، وثانياً: دور السياق في إزالة اللبس الناتج عن رسم الكلمة؛ المؤدي إلى تعدد في المعنى"[11].

لاشك أن المنطق التعليمي يفرض على واضعي المناهج، ضبط الكلمة في المراحل التعليمية الأولى(الابتدائية)، ثم تُخَلَّصُ في مرحلة ثانية من حركات الضبط، إلا من حركات الإعراب، وفي المرحلة الأخيرة تُخَلَّصُ من نظام التشكيل كليا، وهذه المراحل متماشية تماما مع الخصائص العقلية والنفسية والإدراكية للإنسان؛ في مراحل نموه.

وتتخذ دراسة الأستاذ **زكريا أبو حمدية** فئة الطلاب الجامعيين عينة تجريبية، وتنطلق من فرضية "أن وجود حركات التشكيل؛ سيؤدي إلى مستوى من الاستيعاب، أعلى من مستوى الاستيعاب لقراءة النص نفسه بدون حركات التشكيل.إن وضع هذه الفرضية على هذا الشكل، يتّفق ومضمون المقولات التي ترى أن الاستيعاب الجيد مرتبط بوجود حركات التشكيل في الكتابة. وبالتالي فإن مشكلات الاستيعاب؛ ناتجة عن نقص في رسم الكلمة عن الصيغة الكاملة لها"[12].

تعتمد هذه الدراسة نصا ذا موضوع غير محلي؛ لتجنب الاعتماد على الذاكرة، ويكتب في نسختين؛ إحداهما مضبوطة الشكل؛ والأخرى غير مضبوطة، مع وجود صيغ ملتبسة فيه(الجناس الكتابي)، ويوزع النصان على 40 طالبا بشكل متناوب، ثم يطلب منهم القراءة

والإجابة على الأسئلة المتعلقة بالنصين، لمدة دقيقتين، وتكرر التجربة في جامعتين، ثم يتم فرز إجابات كل مجموعة. وقد خلصت التجربة إلى تأكيد المنطق التعليمي المتبع، الذي ذكرناه آنفا؛ وهو أن غياب حركات التشكيل- في غير المرحلة الابتدائية- لا يشكل عائقا للاستيعاب بمستوى عال[13].

إن هذه النتيجة يمكن الطعن في مصداقيتها، من جهة اقتصارها على فئة الطلاب الجامعيين، وهم فئة قد بلغت المثالية في القراءة، بتخلصهم بشكل كبير من حركات الضبط، كما أن الذي يهمنا هنا، هو مستوى الفئة الغالبة من قراء الكتابة الصحفية، الذي يختلف باختلاف المستوى الحضاري للمجتمعات؛ فالمجتمع الأردني الذي اتبع نهج التعريب في كل المستويات، يختلف عن المجتمع الجزائري، الذي ما زال لم يفق بعد من محنة استعمارية مقيتة، نهشت ثقافته الأمازيغية العربية، وما يزال القائمون على شؤونه يتقاذفون بمصطلح (إصلاح)، في إعداد وتطبيق توجهات القطاع التربوي، غير مستقرين بعد على توجه حضاري، ينأى بالمجتمع عن الصراعات السياسية الضيقة[14].

إن هناك طبقة واسعة من المجتمع الجزائري، هي خريجة إما الأمية[15]، وإما التسرب المدرسي في الأطوار التعليمية حتى المرحلة الثانوية، لا يمكن تطبيق النتيجة السابقة عليها، فالأداء القرائي، والقدرة الاستيعابية للمتسرب من المرحلة الثانوية، ولتلميذ متخرج في المرحلة الابتدائية، قد يستويان في ظل العوامل التي ذكرناها آنفا، هذا من جهة.

و من جهة أخرى، فالواقع يفرض تساؤلا آخر: هل القارئ للصحيفة يحتاج إلى معرفة القواعد النحوية؛ من فاعل ومفعول وحال ونعت، وغير ذلك مما يحتاج الضبط إلى توضيحه، لزيادة قدرته الاستيعابية؟[16]،لا يمكننا الجزم بإجابة معينة، إلا بإجراء تجارب عديدة، تكون فئة واسعة من قراء العمل الصحفي هي العينة فيها، مع مراعاة العادات القرائية لهذه الفئة[17].

إن إعادة النظر في نظام الكتابة العربية؛ بتجسيد نظام الضبط على الكلمة؛ وتعميمه على كل ما يكتب، ليس ضرورة حتمية، ولا سبيلا أوحدا، ولا قضية ذات شأن كبير، لإعادة العربية والناطقين بها إلى سالف عهدهم الذهبي، وإنما هناك قضايا أشد أهمية، ذات تحديات جسام،

مرتبطة بالتوجهات الفكرية والسياسية للأمة، تتجاوز مسألة نظام الكتابة، من شأنها -إن انتهجت- أن ترفع من مكانة اللغة العربية في أوساط الناطقين بها.

ب-2/ منهج (قل ولا تقل):

ب-2-1/ محاربة التلوث اللغوي:

كانت الحصة الإذاعية(لغتنا الجميلة)، التي أعدها الأستاذ الراحل عملا متميزا آخر، سعى من خلاله إلى محاربة التلوث اللغوي، المتفشي في الألسنة العربية الفصيحة، فانتهج منهج (قل ولا تقل)، ويبدو أن الأستاذ **فارح** تأثر فيه بأستاذه **مصطفى جواد؛** أحد الدعاة لهذا المنهج التعليمي المتأصل عند النحاة، وقد بين **السكاكي**(ت626هـ) هذا المبدأ، في تعريفه للنحو، حيث قال: "اعلم أن النحو هو: أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم؛ لتأدية أصل المعنى مطلقا، بمقاييس مستنبطة من كلام العرب، وقوانين مبنية عليها؛ ليحترز بها عن الخطأ في التركيب، من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب: تقديم بعض الكلم على بعض، ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك..."[18]. فالنحو لا يقف عند حدود معرفة العلاقات الظاهرة بين الكلمات، ولكنه يمتد ليهتم بمعاني التراكيب المتمخضة عن الكلام.

والكلام العربي الفصيح ينتقل من جيل إلى جيل عن طريق الرواية، ومتى مس الرواية شيء من التصحيف، لحقت اللسان العربي الركاكة واللحن، وعادة ما يكون الكتاب الرواسميون– كما يسميهم مصطفى جواد- من أصحاب العبارات الجاهزة، سببا لتلك الآفة؛ "فهؤلاء قد لاحظوا جملا بأعيانها، مترجمة، أو مبتدعة، لكتاب بارعين،...، ودأبوا على استعمالها في كتاباتهم، من غير أن يتعلموا مبادئ النحو والصرف، و لم يشعروا بفساد أذواقهم في المجاز والاستعارة، وأوهامهم النحوية والصرفية التي يرتكبونها في نادر خروجهم عن تلك الرواسم التي حفظوها"[19]،وقد حدّث الأستاذ **الهادي الحسني** عن الأستاذ **فارح** أنه كان لا يتسامح مع ثلاثة أشخاص في اللحن والخطأ اللغوي، حيث كان دائما يردد: "ثلاثة يمنع عنهم اللحن؛ الأستاذ، والصحفي، والإمام، فإن أخطئوا على الدنيا السلام"[20].

ومن المعروف أن كثيرا من الكتاب الصحفيين ينقلون تلك الرواسم الملحونة (أو العبارات الجاهزة)، فيقرأها العامة والخاصة، فتتلطخ بها ألسنتهم، فيكونون بذلك " قد حفظوا كلما ملحونا فيه، من قوم لحانين، وبقوا على جهالتهم"[21].

وممن أسهم في ذلك التلوث اللغوي- إلى جانب الصحفيين- الممثلون السينمائيون، والمذيعون، وكتاب الإدارات[22]، وقد بين مصطفى جواد خطر مترجمي المسلسلات، والأفلام السينمائية، في وقت لم تستفحل فيه كما هو واقع اليوم، فقال: "ولا تسأل عن مترجمي الأفلام السينمية، فهؤلاء أكلة السحت؛ يرتكبون من اللحن والغلط الشنيعين، ما أصبح مخشيا كل الخشية على العربية، وطلاب المدارس، والشداة من الدارسين،...، وأكثر المختلفين إلى دور السينما؛ هم من طلاب المدارس والمعاهد والكليات؟!"[23].

إذن، فهذه هي إسهامات الوسائط الإعلامية في التلوث اللغوي في زمن العولمة، وقد بات حريا بالحريصين على اللغة العربية، تنقيتها من الدخيل والركيك من الألفاظ والعبارات غير الفصيحة، وهذا ما اضطر الأستاذ **محمد فارح** إلى محاولة محاربة التلوث اللغوي عن طريق أثير الإذاعة، لينتفع بها العامة والخاصة، شعاره في ذلك: إن اللغة تحيا بالاستعمال، والمرض يحيا بالإهمال، أما الأخطاء؛ فتنتشر بالاستعمال والإهمال.

ب-2-2/ العمل الإذاعي لمحاربة التلوث اللغوي:

إن اللجوء إلى تمرير هذا العمل عبر الإذاعة دون التلفزيون، فكرة ذكية من الأستاذ، لما لهذه الوسيلة الصحفية من شأن تتميز به عن بقية الوسائط الإعلامية؛ فالإذاعة تحظى- على الأقل قبل ظهور الإنترنت وانتشار الفضائيات- بنسبة استماع عالية، مقارنة بالتلفزيون؛ حيث يسهل الوصول إلى المستمعين في أماكن كثيرة لا يمكن استعمال التلفزيون فيها؛ بسبب طبيعة المكان، كالسيارة والعمل، أو بسبب انعدام التغطية التلفزية أو الكهربائية؛ فالمواطن الساكن في أقاصي الصحراء الجزائرية، أو في قرى نائية جدا، لم يكن باستطاعته اقتناء جهاز تلفاز(في ذلك الوقت) نظرا لكلفته الباهظة، أو لانعدام الكهرباء، كما لم يكن بإمكانه اقتناء صحيفة لاستحالة

وصولها يوميا، لكن بإمكانه اقتناء جهاز راديو غير مكلف، يعمل بالبطاريات التي تستعمل لمدة طويلة.

وعن فكرة هذا البرنامج، قال الأستاذ(رحمه الله) في ندوة تكريمه من قبل جريدة الشروق اليومي: "لم يكن يعجبني أن أسمع اللغة العربية والألسن تشوهها على مسمعي، ومن محاسن الصدف أن **عيسى مسعودي، ومدني حواس،والأمين بشيشي،** اقترحوا علي أن أعد برنامجا من 05 دقائق؛ لتصحيح الأخطاء الشائعة إذاعيا، فجاءت فكرة (لغتنا الجميلة)"[24].

ب-2-3/ عوامل نجاح(لغتنا الجميلة):

- **عامل الزمن:** لقد ركز الأستاذ في إعداد برنامج(لغتنا الجميلة) على عامل الزمن كثيرا، فكان كالطبيب؛ يصف جرعات علمية في أوقات مخصوصة، وذلك من خلال ثلاثة توجهات زمنية هي:

✓ **الحيز الزمني للبرنامج:** لقد حدد زمن كل حصة من (لغتنا الجميلة) بخمس دقائق، مما يدفع الملل عن المتلقي المستمع، و يمكنه من التركيز على المعلومة وحفظها، واستذكارها خلال اليوم.

✓ **وقت البث:** حدد للبرنامج أوقات عرض تكون فيها نسبة الاستماع مرتفعة(وقت الذروة)، فهو يعرض عادة قبل نشرات الأخبار

✓ **عدد مرات البث:** تطبيقا لقاعدة تعزيز التعلم، يعرض الموضوع الواحد ثلاث مرات في اليوم، وفي الأسبوع يتم عرض ثلاث مواضيع، مما يمكن المتلقي من الاستذكار من جهة، وعدم إرهاق ذاكرته من جهة أخرى.

وهناك جوانب أخرى غير زمنية، ركز عليها الأستاذ في تقديم هذا العمل، منها:

- **الأصوات المقدمة للبرنامج:** لما كان أحد أهداف البرنامج، الوصول إلى أكبر عدد من شرائح المجتمع؛ فإن الأستاذ ركز على أن يكون العرض بصوتي الجنسين، إشعارا للمتلقي بأن العربية طيعة على لسانهما، غير مقصورة على جنس دون آخر، ودفعا للسآمة والملل، اللذين قد يحدثهما صوت واحد، طابعاه الرتابة والثقل على السمع.

- **المادة العلمية:** لقد سار الأستاذ في إعداد المادة العلمية لـــ(لغتنا الجميلة) على منهج الأستاذ **مصطفى جواد** في كتابه(**قل ولا تقل**)، حيث لم يكن يتوقف عند حدود بيان الخطأ والصواب في التركيب اللغوي، بل كان يشير إلى موطن الخطـــأ والصـــواب فيه؛فيشرح القاعدة النحوية أو الصّرفية التي تميز بينهما، ويستشهد بعدّة أمثلة متشابهة للخطأ الذي يريد أن ينبه إليه،والصواب الذي يريد أن يقره ويثبته، ثم يذيل ذلك كلّه بطائفة من الشواهد من القرآن الكريم، والحديث النّبوي الشريف، والجيّد المشـــهور من المنظوم و المنثور، مما يجعل الحصة طبقا شهيّا متنوّعا ومفيدا.

ب-2-4/ أمثلة عن منهج(قل ولا تقل):نسوق هنا مثالين عن خطأين لغويين، لبيان منهج (قل ولا تقل)

مثال1:

قـــــل: رجعت الكتاب إلى صاحبه رجعا، فأنا راجع له، وهو مرجوع إليه.

ولا تقل: أرجعت الكتاب إلى صاحبه إرجاعا، إلا في لغة هذيل، وما نحن وهذيل.

قال الله عز وجل﴿**فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ...** ﴾ **[طه:مـــن الآيـــة40]**، وقال﴿**فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ...**﴾ **[التوبة: من الآية83]**،وقال﴿**إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِـــهِ لَقَادِرٌ**﴾**[الطارق:الآية8]**، و لم يقل (على إرجاعه)... والفعل الثلاثي يفضل على الرباعي، إلا إذا ورد النص على العكس، كـــ(أوحى الله) فهو خير من (وحى الله)، و(أغفى فلان) فهو خـــير من(غفا فلان)[25].

مثال2:

قـــــل: سألتقي أنا وفلان، ونلتقي نحن والقادمون، والتقيا هما وأصحابهما.

ولا تقل: سألتقي فلانا، وسألتقي وإياه، وما أشبه ذلك.

وذلك لأن الفعل (التقى) يأتي تارة للفردية، وتـــارة للاشـــتراك؛ فالفرديـــة تكـــون في نحـــو قولنا(التقيت فلانا في المجلس)، و(التقيت الشيء في الطريق أي لقيتهما)، قال الشاعر:

لما التقيت عميرا في كتيبته * عاينت كأس المنايا بيننا بددا**

وإذا جاء الفعل (التقى) للاشتراك؛ فهو بمعنى تفاعل المشترك، ومن البـــديهي في العربيـــة أن تكون أفعال الاشتراك فيها صادرة عن فاعلين مختلفين، أو أكثر منهما؛ لأن الشركة لا تصـــدر عن واحد، وكذلك ما ينوب عن الفاعلين، وإذا عطف الاسم الظاهر أو الضمير على الضـــمير المستتر المرفوع، وجب الفصل بينهما بفاصل لفظي؛ كالضمير وغيره؛ نحو قوله تعالى﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...** ﴾ **[البقرة: من الآية35]**، فالفاصل هو (أنت).

وإذا كان الفعل مشتركا، في مثل:(سألتقي) أنا وفلان، (ونلتقي نحن والقادمون)، فـــالعطف واجب، أما قولهم: (نلتقي بكم)، فهو تعبير مولد جائز، لم يعرفه الفصحاء، والياء فيه نابت عن كلمة (مع)، والأصل(نلتقي معكم)، وكلمة(مع) نابت عن الواو العاطفة، وذلك مثل: اجتمـــع فلان وفلان، ثم قيل: اجتمع فلان مع فلان، ثم قيل: اجتمع فلان بفلان[26].

وقد أحسن الأستاذ **جواد** حين أقر بجواز قول القائل(نلتقي بكم)، لأنه لا يحسن بأصحاب منهج (قل ولا تقل) أن يمنعوا اللغة من التطور؛ فالخطاب الصحفي يسهم بشكل كبير في تطوير وإثراء اللغة، بابتداع أساليب حديثة، لا يمكن وقفها أو ردعها، لأن لغة الصحفيين أكثر نفـــاذا عند العامة من لغة اللغويين، واللغة ليست قواعد محنطة؛ بل هي توافق مع العصر[27].

خاتمة:

الأستاذ محمد فارح(رحمه الله) من الرجال الذين نافحوا عن اللغة العربية وخدموها بعلميـــة وموضوعية، عبر العمل الصحفي؛ فالصفحة المشكولة في جريدة الشعب كانت محاولة منه لمحو الأمية القرائية لدى القراء، ونشر العربية عبر الصحافة، إذ أن اللغة ليست وسيلة للتعبير فقـــط، بل كيان وهوية، وهي في الكتابة الصحفية أنفذ الوسائل لتشكيل الهوية قبل الرأي العام.

أما البرنامج الإذاعي (لغتنا الجميلة) فقد وجه لمحاربة التلوث اللغوي الذي استفحل في ألســـنة الناطقين بالضاد، بتصحيح التراكيب اللغوية التي أصابها اللحن من طريق الرواية المحرفـــة، و لم يكن منهج (قل ولا تقل) المتبع فيه حاجرا على العربية ، ولا معتبرا لها قاصرة عن مجاراة وسائل الاتصال الحديثة.

إن هاتين التجربتين الصحفيتين اللتين امتاز بهما الأستاذ في خدمته للعربية، جديرتان بالدراسة والاهتمام من اللغويين والإعلاميين على حد سواء، وذلك للبحث عن سبل كفيلة بتطوير اللغة العربية واستعمالها في الوسائط الإعلامية؛ المقروءة والمسموعة والمرئية.

هوامش البحث:

[1] اقتطفت جل سيرة الراحل من جريدة الشروق اليومي في عدديها الصادرين بتاريخي:13 ماي 2009، و4ديسمبر2012.

[2] مَحْمُوْد تَيْمُوْر(1894مـ 1973م) أحد الرواد الأوائل لفن القصة العربية، هو ابن: أحمد باشا تيمور عميد العائلة التيمورية، وهي عائلة معروفة في مجال الفكر والأدب، مات في لوزان بسويسرا، ودفن بالقاهرة.بدأ كتابه القصة سنة 1919م بالعامية المصرية، ثم تقدم في لغته حتى أصبح من حملة لواء الفصحى، ونال عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1949م.له بحوث طيبة جدًّا في اللغة والمسرح، وكتب الرواية والقصة القصيرة، وترجم كثير من أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والروسية، وحضر مؤتمرات عالمية كثيرة في باكستان، وسوريا، ولبنان وغيرها.من أشهر أعماله الأدبية : سلوي في مهب الريح ــ نداء المجهول ــ شمس وليل ــ صقر قريش ــ عطر ودخان ــ قال الراوي ــ دنيا جديدة. ومن أعماله اللغوية: عمله الذي اعتمدناه في هذا البحث؛ مشكلات اللغة العربية.

[3] مَحْمُوْد تَيْمُوْر، مُشْكِلَاتُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دط، ملتزم الطبع والنشر، دت: مصر، ص19-20.

[4] م س، ص20.

[5] م س، ص59.

[6] انظر جابر قميحة، محمود تيمور وتيسير اللغة العربية، موقع: رابطة أدباء الشام.
http://www.odabasham.net/show.php?sid=4901

[7] مشكلات اللغة العربية، ص70.

[8] تجدر الإشارة هنا إلى أن نظام التشكيل الذي استحدث في عصر صدر الإسلام كان هدفه رفع اللبس عن الكلمات المتجانسة الصيغة في مرحلة متقدمة من التعليم، أي عندما يدرك المتعلم الكلمات مختزلة دون حركات الضبط، ومن أمثلة الكلمات المتجانسة الحروف: كَتَبَ، كُتُبُ، كُتِبَ/ دَفَعَ، دَفْعُ، دُفِعَ، دَفَّعَ، دُفِّعَ.ومن حرص المتقدمين على الضبط وإدراكهم لقيمته، نجدهم يضبطون الكلمات خشية التصحيف؛ فيقولون مثلا: (يكتب) بفتح الأول وسكون الثاني وضم الثالث.

[9]مشكلات اللغة العربية، ص41.

[10]مصطفى جواد، قل ولا تقل، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، 2001: سوريا، ج1/ص9.

[11]زكريا أبو حمدية، حركات التشكيل في الكتابة العربية وأثرها في مستوى الاستيعاب(دراسة تجريبية)، المجمع الأردني للغة العربية، العدد57.

[12]م س.

[13]انظر م س.

[14]من أمثلة ذلك الصراع، الجدل الذي دار حول إدراج مادة اللغة الفرنسية في السنة الثانية من التعليم الابتدائي، وهو جدل سياسي أكثر منه أكاديمي، فمن المسلم به علميا أن إدراج لغة أخرى قبل التمكن من أبجديات اللغة الأم يؤثر على كفاءة المتعلم في اكتساب اللغتين.

[15]لقد أسهمت سياسات مكافحة الأمية في الجزائر في زيادة نسبة المتعلمين، مما مكن من توسيع الطبقة ذات التعليم المتوسط.

[16]إن تبسيط اللغة الصحفية؛ يسهم في زيادة الاستيعاب لدى القارئ ذو المستوى التعليمي المتوسط.

[17]من العادات القرائية: قراءة العناوين فقط، أو الاقتصار على قراءة أركان بعينها، أو قراءة صحف معينة ذات مستوى لغوي معين(الجرائد المتخصصة).

[18]أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط2، دا الكتب العلمية، 2011:لبنان، ص125.

[19] قل ولا تقل، ج1/ص8.

[20] شهادة الأستاذ محمد الهادي الحسني خلال الندوة التكريمية التي أقيمت للأستاذ محمد فارح بمقر جريدة الشروق اليومي، ونشرت في عددها الصادر بتاريخ:13 ماي 2009.

[21] قل ولا تقل، ج1/ص9.

[22] م س، ج1/ص9.

[23] م س، ج1/ص10.

[24] الأستاذ محمد فارح: جريدة الشروق اليومي، عدد يوم:13 ماي 2009.

[25] قل ولا تقل، ج2/ص11-12.

[26]م س، ج2/ص52-53.

[27] انظر: صالح بلعيد، في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث، دط، دار هومة، الجزائر:2005، ص128.